

موقف أكراد تركيا من ثورة الملا مصطفى البارزاني (1956-1958)

م.م. وسن عدنان عبدالرحيم

جامعة سامراء/كلية التربية للعلوم الإنسانية

Wasan Adnan@uosamarra.edu.iq

الملخص:

تتناول هذه الدراسة موقف أكراد تركيا من حركة الملا مصطفى البارزاني في المرحلة الممتدة بين عامي 1956 و1958، وهي مرحلة بالغة الحساسية في تاريخ الحركة الكردية الإقليمية، تزامنت مع تصاعد النشاط السياسي الكردي في العراق وانتهت بثورة الرابع عشر من تموز 1958 التي أعادت رسم خريطة السياسة العراقية وفتحت آفاقاً جديدة أمام الحلم الكردي في المنطقة بأسرها. وتنطلق الدراسة من تساؤل جوهري مفاده: كيف تشكل موقف الكرد في تركيا من نضال البارزاني وحركته، في ظل ظروف القمع السياسي المنهج الذي فرضته الدولة التركية على الهوية الكردية منذ تأسيس الجمهورية عام 1923؟

تُجادل الدراسة بأن هذا الموقف لم يكن أحادي البعد أو متجانساً، بل كان طيفاً متدرجاً ومركباً يعكس في جوهره ما يمكن تسميته بـ"التضامن العاجز"، أي: ذلك التضامن الحقيقي العميق في الوجدان والهوية المشتركة، المُقيد في الوقت ذاته بعجز تنظيمي وسياسي كامل فرضه القمع المنهج الذي أخذ ثلاث ثورات كردية كبرى في تركيا — ثورة الشيخ سعيد 1925، وثورة آارات 1930، ومجزرة درسيم 1938 — وأفضى إلى تجميد الحياة السياسية الكردية لعقود متتالية.

وتكشف الدراسة أن البارزاني كان يحتل في الوجدان الكردي التركي مكانةً رمزية استثنائية تجاوزت كونه زعيماً عراقياً، إذ تحوّل إلى رمز جامع للكبرياء الكردي وإثبات إمكانية المقاومة في مواجهة الدول المسيطرة. وقد وصلت أخباره إلى أكراد تركيا عبر شبكات التواصل العشائرية العابرة للحدود، والمتقنين الذين تمكنوا من الاطلاع على الصحافة الكردية المتداولة سراً، وشبكات التجار والمسافرين في المناطق الحدودية.

وتسلطّ الدراسة الضوء على جملة من العوامل التي أثّرت في تشكيل هذا الموقف وتعميقه، أبرزها: انتماء تركيا إلى حلف الناتو وما أفرزه ذلك من حساسيات إزاء أي نشاط كردي مرتبط بالاتحاد السوفيتي، وتحديدًا منفي البارزاني السوفيتي الذي وقرّ للدولة التركية ذريعة لتصوير أي تضامن معه تواطؤاً شيوعياً. وتتوقف الدراسة عند التباينات الداخلية في المجتمع الكردي التركي بين الشيوخ والزعماء العشائريين الذين أثروا التسوية مع الدولة، والمتقنين والشباب القومي الذين كانوا أشدّ تعاطفاً مع البارزاني وأكثر التهابةً بأفكار الحرية والاستقلال.

وتخلص الدراسة إلى أن مرحلة 1956-1958 لم تكن مجرد مدة صمت وركود في تاريخ الكرد في تركيا، بل كانت مرحلة تخمّر ونضج وتراكم للوعي تحت السطح، أسهمت في تشكيل الجيل الكردي التركي

الذي سيُفجّر الحراك السياسي في العقود اللاحقة. وعلى هذا النحو، تقدم هذه الدراسة إسهامًا في فهم الجذور التاريخية للمسألة الكردية في تركيا، وترسيخ الصلة العضوية بين التجربة الكردية العراقية والوعي الكردي التركي في منتصف القرن العشرين.

الكلمات المفتاحية: أكراد تركيا، البارزاني، الحركة الكردية، العراق 1958، التضامن الكردي، القمع السياسي، الهوية الكردية، الحرب الباردة والكرد.

The position of the Turkish Kurds on the revolution of Mullah Mustafa Barzani (1958-1956)

Asst. Lect. Wasan Eadnan Abdelrahim

Samarra University/College of Education for Human Sciences

Abstract:

This study examines the position of the Kurds of Turkey toward the movement of Mustafa Barzani during the period 1956–1958, a highly sensitive phase in the history of the regional Kurdish movement. This period coincided with the escalation of Kurdish political activity in Iraq and culminated in the 14 July Revolution, which reshaped Iraqi politics and opened new horizons for Kurdish aspirations across the region. The study is guided by a central question: how did the position of the Kurds in Turkey toward Barzani's struggle and movement take shape under the conditions of systematic political repression imposed by the Turkish state on Kurdish identity since the establishment of the republic in 1923?

The study argues that this position was neither uniform nor monolithic; rather, it constituted a complex and graded spectrum that reflects what may be termed “constrained solidarity”—a deep and genuine sense of solidarity rooted in shared identity and collective consciousness, yet simultaneously restricted by a complete organizational and political incapacity. This incapacity was imposed by systematic repression that suppressed three major Kurdish uprisings in Turkey—the Sheikh Said Rebellion, the Ararat Rebellion, and the Dersim Massacre—leading to the stagnation of Kurdish political life for decades.

The study further reveals that Barzani occupied an exceptional symbolic position in the collective consciousness of the Kurds in Turkey, transcending his role as an Iraqi leader to become a unifying symbol of Kurdish dignity and the possibility of resistance against dominant states. Information about him reached the Kurds of Turkey through cross-border tribal networks, intellectual circles with access to clandestine Kurdish press, and the networks of traders and travelers in border regions.

Moreover, the study highlights several factors that shaped and complicated this position, most notably Turkey's membership in NATO, which generated sensitivities toward any Kurdish activity linked to the Soviet Union, particularly Barzani's Soviet exile, which provided the Turkish state with a pretext to portray any solidarity with him as communist collusion. The study also examines internal divisions within Kurdish society in Turkey between tribal leaders who opted for accommodation with the state and nationalist intellectuals and youth who were more sympathetic to Barzani and more receptive to ideas of freedom and independence.

The study concludes that the period 1956–1958 was not merely an era of silence and stagnation for the Kurds in Turkey, but rather a phase of latent maturation, accumulation, and the gradual formation of political consciousness beneath the surface. This process contributed to shaping the Kurdish generation that would later drive political mobilization in subsequent decades. Accordingly, this study offers a contribution to understanding the historical roots of the Kurdish question in Turkey and reinforces the organic connection between the Kurdish experience in Iraq and Kurdish consciousness in Turkey in the mid-twentieth century.

Keywords: Kurds of Turkey; Barzani; Kurdish movement; Iraq 1958; Kurdish solidarity; political repression; Kurdish identity; Cold War and the Kurds.

المقدمة:

تُعدّ المسألة الكردية من أكثر القضايا تعقيدًا وتشعبًا في تاريخ الشرق الأوسط الحديث، إذ تتقاطع فيها خيوط الهوية والجغرافيا والسياسة والإثنية على نحو يجعل من الصعب تناولها بمعزل عن سياقاتها الإقليمية المتداخلة. وفي هذه المعادلة المركبة، برزت شخصية الملا مصطفى البارزاني بوصفها رمزًا محوريًا للنضال الكردي في القرن العشرين، لا في العراق وحده، بل في الوجدان الكردي الجمعي عبر الحدود الدولية المصطنعة التي رسمتها اتفاقية لوزان عام 1923 وما سبقها من ترتيبات دولية. وقد اكتسبت المرحلة الممتدة بين عامي 1956 و1958 أهمية استثنائية في هذا السياق، فهي المرحلة التي شهدت تصاعدًا في النشاط السياسي الكردي في العراق، والتي انتهت بثورة الرابع عشر من تموز 1958، تلك الثورة التي قلبت معادلات السياسة العراقية رأسًا على عقب وفتحت آفاقًا جديدة أمام الحركة الكردية برمتها.

غير أن ما يستدعي الاهتمام والتدقيق في هذه الدراسة هو الموقف الكردي التركي من هذه الأحداث؛ إذ كان أكراد تركيا يعيشون في ظروف بالغة الصعوبة جراء السياسات الاستيعابية القسرية التي انتهجتها الدولة التركية منذ تأسيس الجمهورية، وكانوا في الوقت ذاته يتابعون بعيون شاحصة وقلوب متوجسة ما يجري في الجنوب حيث يخوض أبناء جلدتهم نضالًا سياسيًا وعسكريًا. فكيف تشكّل هذا الموقف؟ وما العوامل التي

أثرت فيه إيجاباً وسلباً؟ وإلى أي مدى انعكس الحراك الكردي العراقي على البنية السياسية والاجتماعية للکرد في تركيا؟ هذه هي الأسئلة التي يسعى هذا البحث إلى الإجابة عنها.

أولاً: أكراد تركيا في النصف الأول من القرن العشرين — الخلفية التاريخية للأزمة

لا يمكن فهم موقف أكراد تركيا من أي حدث كردي إقليمي دون استيعاب الثقل التاريخي الهائل الذي خلفته عقود من القمع المنظم. فمنذ إخماد ثورة الشيخ سعيد هو قائد الثورة القومية التي اندفعت شرق الأناضول وبدعم من زعماء دينيين و إقطاعيين ضد الحكومة التركية عام 1925، وما أعقبها من ثورتَي ارارات (1930-1931) والتي حدثت شرق تركيا ضد الحكومة التركية وكان قائدها نوري باشا من قبيلة جبران التركية ودرسيم (1937-1938) والتي كانت بقيادة سيد رضا العلوي ، مضى على أكراد تركيا ما يزيد على ثلاثة عقود عاشوا فيها تحت وطأة سياسة التتريك القسري وإنكار الهوية الكردية. وقد تجلت هذه السياسة في جملة من الإجراءات المنهجية، شملت حظر اللغة الكردية في الفضاء العام، وإعادة تسمية القرى والمناطق الكردية بأسماء تركية، وتهجير قسم كبير من السكان الكرد إلى المناطق الغربية من تركيا، ومنع أي شكل من أشكال التنظيم السياسي الكردي. (McDowall, 2004, p. 184-210)

وقد أفضى ذلك إلى حالة من الخمول السياسي الظاهري لدى الكرد في تركيا، خمول لا يعكس غياب الوعي القومي بقدر ما يعكس القدرة الهائلة للدولة على سحق أي تعبير علني عن هذا الوعي. وميَّز مارتن فان برويسن في دراسته الشاملة للبنى الاجتماعية الكردية بين مستويين من الهوية: المستوى المعاش اليومي الذي ظل محتفظاً بطابعه الكردي في البيوت والقرى والعلاقات الاجتماعية، والمستوى السياسي العلني الذي اضطر الكرد إلى إخفائه أو تكيفه مع متطلبات البقاء في ظل الدولة القومية الحديدية، ويستعمل هذا التعبير لوصف دولة ذات نظام عسكري شديد الصرامة والانضباط أو القبضة الأمنية (van Bruinessen, 1992, p.14-25) وهكذا نشأت ما يمكن تسميته بـ"الجمرة المتقدة تحت الرماد"، وعيٍ قومي حي يتناقله الآباء عن الأجداد في المجالس الخاصة والأغاني الشعبية والقصص الشفوية، في انتظار اللحظة التي تسمح فيها الظروف بالتعبير الجهرى عنه.

وفي هذا السياق، جاء عقد الخمسينات حاملاً بعض التحولات السياسية في تركيا ذاتها؛ إذ أفضى التحول نحو التعددية الحزبية عام 1950 وصعود حزب الديمقراطي بقيادة عدنان مندريس إلى قدر من الانفتاح النسبي، وإن ظل محدوداً فيما يخص المسألة الكردية تحديداً. بيد أن هذا الانفتاح الجزئي أتاح لبعض المثقفين والسياسيين الأكراد هامشاً أضيق من ذي قبل للحركة والتفكير، وإن ظل المشهد العام مُثَقلاً بالقيود والتضييق. (Ahmad, 1993, p. 110-130).

ثانياً: الملا مصطفى البارزاني والحركة الكردية العراقية في المرحلة 1946-1958

لا يمكن الحديث عن موقف أكراد تركيا من البارزاني دون استعراض دور البارزاني ذاته وموقعه في الحركة الكردية الإقليمية في تلك المرحلة. فقد كان مصطفى البارزاني، ابن عشيرة بارزان في شمال العراق، قد خاض مسيرة نضالية طويلة أسبغت عليه هالة من البطولة في الوجدان الكردي. فبعد أن شارك في تأسيس الحزب الديمقراطي الكردستاني عام 1946، وبعد انهيار جمهورية مهاباد الكردية أسست هذه الجمهورية بدعم من الاتحاد السوفيتي وتعد أول تجربة لإقامة دولة كردية حديثة، اضطر البارزاني إلى مغادرة المنطقة مع عدد من رفاقه سالكاً طريقاً وعرة عبر الأراضي السوفيتية، إذ قضى سنوات منفاه الطويل في الاتحاد السوفيتي بين عامي 1947 و1958. (Batatu, 1978, p.912-920).

وخلال سنوات المنفى هذه، لم ينقطع تأثير البارزاني على الحركة الكردية، بل ربما ازداد بريقه الأسطوري وتعزز حضوره الرمزي جراء غيابه الجسدي. فقد أضفت مقاومته الأسطورية ورفضه الاستسلام ومغامرته في العبور إلى الاتحاد السوفيتي عليه هالة من المصداقية النضالية لم يستطع أي زعيم كردي آخر في تلك المرحلة منافسته عليها. (Nezan, 1980, p.47-106) وفي الوقت الذي كان فيه البارزاني في منفاه السوفيتي، واصل الحزب الديمقراطي الكردستاني في العراق نشاطه السياسي تحت قيادات بديلة، بيد أن التنظيم ظل يستمد جزءاً كبيراً من شرعيته من اسم البارزاني الغائب.

وفي المدة الممتدة بين عامي 1956 و1958 تحديداً، كانت الحركة الكردية في العراق تمر بمرحلة من إعادة البناء التنظيمي والفكري في ظل ظروف سياسية بالغة الحساسية في عهد الملكية العراقية المدعومة بريطانياً. وقد تزامن ذلك مع موجة من القومية العربية التي اجتاحت المنطقة برمتها في أعقاب ثورة مصر عام 1952 وأحداث السويس عام 1956، مما أوجد معادلة بالغة التعقيد في العراق تجمع بين القومية العربية والمطامح الكردية والمصالح البريطانية وطموحات الحزب الشيوعي العراقي. (Batatu, 1978, p.764-). (807).

ثالثاً: آليات التواصل وقنوات المعرفة بين أكراد تركيا والحركة البارزانية

قبل الخوض في تفاصيل الموقف الكردي التركي من الحركة البارزانية، لابد من التساؤل عن كيفية التي كان أكراد تركيا يعرفون بها ما يجري في جنوب الحدود. فقد فرضت الظروف الجغرافية والسياسية قيوداً صارمة على حركة المعلومات في كلا الاتجاهين، غير أن ثمة قنوات بديلة ظلت مفتوحة على الرغم من كل شيء.

كانت العلاقات العشائرية العابرة للحدود من أبرز هذه القنوات، إذ تمتد روابط الدم والنسب والمصاهرة بين عشائر كردية يفصل الحد السياسي بين أجزائها، فيما تستمر في مدّ جسور التواصل والمعرفة والتضامن. وقد أشار عدد من الباحثين إلى أن الحدود التركية-العراقية، على الرغم من رقابتها الرسمية، ظلت مسامية

van Bruinessen,) نسبياً أمام حركة الأفراد والمعلومات والأفكار على مستوى المجتمعات الحدودية. (2000, p.55-70) وعلى هذا النحو، كانت أخبار البارزاني وحركته تصل إلى أكراد جنوب شرق تركيا عبر شبكات غير رسمية من التجار والرعاة والمسافرين والعائدين من رحلات الحج. ويُضاف إلى ذلك دور المتقنين الكرد الذين تمكنوا من الحصول على قدر من التعليم، سواء في الجامعات التركية أو في بعض المراكز الأجنبية، وأسهموا في تلقي المعلومات وتوزيعها داخل شبكاتهم الاجتماعية المحدودة. ومن الجدير بالذكر أن عدداً من المتقنين الأكراد في تركيا كانوا يتابعون الصحافة العربية وبعض المنابر الكردية التي كانت تصدر خارج المنطقة، مما أتاح لهم نافذة معلوماتية إضافية. (Entessar, 1992, p.78-95) يُقدم إنتيسار مقارنة بين أوضاع الكرد في دول الجوار وقنوات تواصلهم البينية. كذلك ينبغي الإشارة إلى دور الهجرة والمهجر في تكثيف شبكات التواصل بين الكرد على اختلاف انتماءاتهم الجغرافية. فقد كان عدد من الكرد العراقيين مقيمين في تركيا لأسباب تجارية أو دراسية، وكان بعض الكرد الأتراك ينتقلون إلى بلدان مجاورة، مما أوجد فضاءات بينية للتلاقي والتبادل تجاوزت الحواجز الرسمية. (Entessar, 1992, p.78-95).

رابعاً: طبيعة الموقف الكردي التركي من البارزاني — بين التعاطف والتحفيز

عند محاولة تحديد ملامح الموقف الكردي التركي من البارزاني وحركته في المدة 1956-1958، يتضح أن هذا الموقف لم يكن متجانساً أو أحادي الاتجاه، بل كان مُركباً ومتشعباً يعكس تباينات البنية الاجتماعية والسياسية لأكراد تركيا أنفسهم. (McDowall, 2004, p.397-410).

مستوى التعاطف الشعبي والوجداني:

على الصعيد الشعبي، من الثابت تاريخياً أن البارزاني كان يحظى بتقدير وتعاطف واسع في الأوساط الكردية عموماً، بما فيها أكراد تركيا. فقد تحول اسمه إلى رمز للكبرياء الكردي والصمود في وجه الدول المسيطرة، وتناقلت الأغاني الشعبية الكردية قصص نضاله ومغامراته ومقاومته. وكان الخبر الذي يصل عن صمود كردي في العراق أو إنجاز لحركة البارزاني يُحدث صدى وجدانياً عميقاً لدى الكرد في تركيا الذين كانوا يعيشون حالة من القهر الهوياتي المكثف. (Chaliand, 1980, p.1-25).

وهنا تبرز أهمية ما يُسميه بعض المحللين "وظيفة الرمز" التي أداها البارزاني في الوجدان الكردي الجمعي. فهو لم يكن مجرد قائد عسكري أو سياسي لكرد العراق، بل كان يمثل إثبات إمكانية المقاومة الكردية وعدم حتمية الخضوع، مما كان له صدى بالغ الأثر في نفوس أكراد تركيا المقيدتين بسياسات الإنكار والقمع. (Vali, 2003, p.88-112).

مستوى الموقف السياسي المتحفظ:

غير أن ثمة مستوى آخر من الموقف، أكثر تعقيداً وتحفظاً، برز في التعاطي السياسي والفكري مع حركة البارزاني. فمن الناحية التنظيمية، كانت الحركة السياسية الكردية في تركيا في حالة من الضمور شبه التام خلال تلك المرحلة، جراء عقود من القمع والملاحقة. ولم يكن ثمة حزب كردي معن أو منظمة سياسية قادرة على اتخاذ مواقف رسمية من الأحداث الكردية الإقليمية. (McDowall, 2004, p.395-420).

وكان المثقفون والسياسيون الكرد في تركيا الذين يملكون قدرًا من الوعي القومي يتعاملون مع الحراك الكردي العراقي بحذر بالغ لعدة اعتبارات: أولها الخوف من الملاحقة الأمنية، إذ كانت أجهزة الدولة التركية تراقب عن كثب أي نشاط كردي مشبوه، وكان الانتساب العلني إلى أي حركة كردية أو التعبير عن التضامن معها مدخلاً للسجن والاعتقال. وثانيها الخشية من أن يُستخدم الموقف المؤيد للبارزاني ذريعةً لتصنيف الكرد في تركيا أعداءً للدولة و عملاء لجهات أجنبية. وثالثها التباين الأيديولوجي بين بعض المثقفين الكرد الذين كانوا أكثر تأثرًا بالحدائث والعلمانية مقارنة بالطابع القبلي والعشائري الذي كان يميز حركة البارزاني في مراحلها الأولى. (Bozarslan, 2003, p.163-190).

مستوى التفاوت الاجتماعي داخل المجتمع الكردي التركي:

ولا يمكن إغفال التمييز بين شرائح مختلفة داخل المجتمع الكردي التركي في تفسير الموقف من البارزاني. فقد كانت ثمة فجوة ملحوظة بين موقف الشيوخ والزعماء العشائريين من جهة، والمثقفين المدنيين من جهة أخرى. فالزعماء العشائريون الكرد في تركيا كانوا قد عقدوا في معظم الأحيان تسويات مع الدولة التركية مقابل احتفاظهم بامتيازاتهم المحلية، مما جعلهم أقل تحمسًا لأي تغيير جذري في الأوضاع القائمة. وفي المقابل، كان المثقفون الشباب من الكرد الذين تشبّعوا بأفكار القومية الكردية أشد تعاطفًا مع البارزاني ونضاله، وإن ظل هذا التعاطف مكبلاً بظروف القمع السياسي. (van Bruinessen, 1992, p.416-434).

خامساً: العوامل الجيوسياسية وتأثيرها على الموقف الكردي التركي

لفهم موقف أكراد تركيا من البارزاني، لا بد من استيعاب المحيط الجيوسياسي الذي كانت تتحرك فيه تركيا دولةً وأكراها جماعةً خلال تلك الحقبة.

كانت تركيا في المدة المذكورة عضواً فاعلاً في حلف شمال الأطلسي (الناتو) منذ عام 1952، وكانت علاقاتها مع الغرب ولاسيما الولايات المتحدة الأمريكية في مرحلة تعمق وترسخ. وفي هذا الإطار، كان موقف الدولة التركية من الحركات الكردية الإقليمية محكوماً جزئياً باعتبارات الحرب الباردة وتوجس الغرب من أي نشاط مرتبط بالاتحاد السوفيتي أو متأثر بتوجهاته. (Moazami, 2013) وقد أضفى وجود البارزاني في

الاتحاد السوفيتي بُعدًا إضافيًا بالغ الحساسية على موقف الدولة التركية منه ومن أي تضامن كردي معه، إذ كان من السهل تصوير أي تعاطف مع البارزاني على أنه تعاون مع القوة السوفيتية المنافسة للغرب ولتركيا ضمن أحلافها.

وقد كان هذا التوظيف الأيديولوجي للشيوعية حاضرًا في الخطاب الرسمي التركي تجاه الحركات الكردية عمومًا؛ فأى نشاط كردي يُوصف بالارتباط بالشيوعية ويُعالج وفق ذلك. وكان لهذا الخطاب تأثير على قسم من الكرد المحافظين دينيًا أو ذوي المصالح المرتبطة بالنظام القائم الذين آثروا الابتعاد عن أي ارتباط بالبارزاني تحديدًا نظرًا لمنفاه السوفيتي. (Entessar, 1992, p.14-35).

وفي المقابل، كان الكرد ذوو التوجهات اليسارية أو القومية يرفضون هذه المعادلة ويرون في التحاق البارزاني بالاتحاد السوفيتي ضرورة تكتيكية أملت الظروف، لا دليلًا على انتمائه الأيديولوجي. وكانت هذه الجدلالات تدور في مجالس خاصة وهمسات مكتومة، بعيدًا عن الفضاء العام الذي تسيطر عليه الدولة.

سادسًا: ثورة الرابع عشر من تموز 1958 وانعكاساتها على المشهد الكردي التركي

جاءت ثورة الرابع عشر من تموز 1958 في العراق، بقيادة اللواء عبد الكريم قاسم هو ضابط عراقي عسكري ويعد أول حاكم للعراق بعد انتهاء الملكية وإعلان الجمهورية وتوفي 1963، إذ تعد ثورته حدثًا استثنائيًا أعاد رسم خريطة التوقعات والأمال الكردية في المنطقة برمتها. فقد أطاحت الثورة بالملكية الهاشمية المرتبطة بالبريطانيين وأعلنت الجمهورية، وفتحت الباب أمام تحولات سياسية عميقة في العراق.

وكان من أبرز تداعيات هذه الثورة المباشرة على المسألة الكردية أن عاد الملا مصطفى البارزاني إلى العراق في أكتوبر من العام ذاته، منهيًا سنوات منفاه السوفيتي الطويلة. وقد استقبله الكرد في العراق استقبال المنتصر البطل، وتجدد الأمل في أن تُقضي العلاقة بين الحركة الكردية وحكومة قاسم إلى اعتراف حقيقي بالحقوق الكردية في إطار العراق الجديد. (Batatu, 1978, p.779-800).

وقد تابع أكراد تركيا هذه التطورات بمشاعر مركبة من الأمل والإعجاب والقلق في آن واحد. فمن جهة، كانت عودة البارزاني المنتصرة وتساعد مكانة الحركة الكردية في العراق بمثابة انتعاش للروح الكردية وتأكيد لإمكانية التحقق السياسي. ومن جهة أخرى، كانت هذه التطورات تُثير قلق الدولة التركية وتضاعف من رقابتها على أكراد الداخل، مما كان يُضيّق الهامش المتاح للتعبير عن التضامن. (McDowall, 2004, p.291-314)

وقد وجدت الحكومة التركية في ثورة 1958 العراقية مصدر قلق مزدوج: أولًا، كسرت الثورة التضامن الإقليمي الذي كانت تركيا تسعى إلى بنائه ضمن حلف بغداد (1955)، الذي كان يجمعها بالعراق وباكستان وإيران وبريطانيا. وثانيًا، فتحت للمشهد الجديد في العراق آفاقًا قد تشجع الكرد الأتراك على الاقتداء بنظرائهم

العراقيين. (Marr, 2004, p.78-95) وقد ترجم هذا القلق المزدوج إلى تشديد الرقابة الأمنية في المناطق الكردية من جنوب شرق تركيا، وتكثيف الحضور العسكري في المناطق الحدودية.

سابعاً: أصوات كردية تركية وإرهابات الحراك السياسي القادم

على الرغم من الطابع الصامت الذي يغلب على المشهد الكردي في تركيا في تلك المدة، إلا أن التاريخ سجل جملة من الإرهابات والبدايات التي كانت تتضج تحت السطح وتُبشر بما سيأتي لاحقاً. فالصمت السياسي المفروض لا يعني بالضرورة موت الإرادة أو انطفاء الوعي، بل كثيراً ما يكون الصمت القسري الطويل هو المرحلة التي تتراكم فيها الطاقة الكامنة وتتعمق فيها الهويات وتتشكل فيها القنوات استعداداً للانفجار في اللحظة التاريخية المناسبة. وهذا تحديداً ما يصف الحالة الكردية في تركيا في النصف الثاني من الخمسينات.

فقد شهدت نهاية الخمسينات وبداية الستينات من القرن الماضي بداية تشكّل نوى تنظيمية كردية في تركيا، كان لها ارتباط وثيق بالتطورات الإقليمية ومنها النشاط البارزاني المتصاعد. وكان هذا التشكّل التنظيمي يجري في سرية تامة وبحذر شديد، بعيداً عن أعين أجهزة الأمن التركية التي كانت تراقب عن كثب أي نشاط كردي مشبوه. وقد اتخذت هذه النوى التنظيمية الأولى عدة أشكال: حلقات للقراءة والنقاش بين المثقفين الشباب، وتجمعات غير رسمية في المقاهي والبيوت الخاصة، وشبكات لتداول المطبوعات والأفكار في نطاق ضيق ومحدود. وكانت هذه التجمعات تضم في الغالب طلاباً جامعيين وخريجين شباباً من ذوي الأصول الكردية الذين نقلت لديهم ثقافة حديثة مكتسبة من التعليم الجامعي مع هوية كردية متجذرة ورثوها من بيئاتهم الاجتماعية. (Nezan, 1980, p.47-106).

وكان بعض المثقفين الأكراد في تركيا يتابعون الصحافة الكردية الصادرة في العراق وخارجه، يتداولونها في حلقات ضيقة وسرية. وكانت الصحف الكردية مثل: "خه بات" التي أصدرها الحزب الديمقراطي الكردستاني في العراق تجد طريقها أحياناً إلى بعض المثقفين الكرد في تركيا، مما أتاح لهم الاطلاع على الروايات الكردية للأحداث بعيداً عن الرواية الرسمية التركية التي كانت تتجاهل القضية الكردية أو تشوّهها. وكان لهذا الاطلاع أثر بالغ في توسيع الأفق السياسي لهؤلاء المثقفين وتعميق فهمهم لأبعاد القضية الكردية الإقليمية، إذ كانوا يكتشفون عبر تلك المطبوعات أن ما يعيرونه من قمع وإنكار ليس حالة فردية معزولة، بل هو جزء من منظومة أشمل تطل الكرد في كل مكان. (Bozarlsan, 2004, p.23-55).

وفي هذا السياق، تجدر الإشارة إلى الدور المحوري الذي أدّاه الأدب والشعر الكردي بوصفهما وسيطاً للتواصل والتضامن عبر الحدود في ظل استحالة التواصل السياسي المباشر. فقد ظل الشعر الكردي الشعبي وسيلة حية لنقل المشاعر السياسية والهوياتية بأسلوب يصعب على الرقابة ملاحظته وتجريمه، وكانت

القصائد والأغاني الكردية التي تتغنى ببطولات البارزاني ونضاله تتداول بين الكرد على جانبي الحدود، حاملةً معها شحنة وجدانية وسياسية لا يستهان بها. وكان للشعراء الكرد الذين ينتقلون بين تركيا والعراق وإيران دور في نسج هذا النسيج الثقافي المشترك الذي كان يُعوّض عن غياب التنظيم السياسي المعلن (van Bruinessen, 2000, p.20-45).

وأسهمت هذه التطورات بصورة غير مباشرة في بلورة الوعي السياسي الكردي في تركيا الذي سيجد تعبيره التنظيمي لاحقاً. فعلى الصعيد الفكري، كانت مرحلة 1956-1958 تشهد في الخفاء تحولات في طريقة تفكير الشباب الكردي في تركيا، إذ بدأت تنتشر بينهم أفكار تتجاوز المطالبة بحقوق ثقافية محدودة نحو رؤية سياسية أوسع تُطالب بالاعتراف بالهوية الكردية وحق التنظيم السياسي. وكانت التجربة الكردية في العراق، بما أنجزته من تأسيس حزب سياسي كردي علني وحضور في الحياة العامة، تُشكّل أنموذجاً يلهم هذه الأجيال الشابة ويجعلها أكثر قناعة بإمكانية التغيير.

وتحديداً مع تأسيس حزب العمال الكردستاني عام 1978 ومسيرته الطويلة، يمكن أن ننتيّن الخيط الرابط بين تراكمات الوعي في مرحلة الخمسينات والفعل السياسي المنظم في العقود اللاحقة. بيد أن الجذور الفكرية والوجدانية لهذا الحراك تعود جزئياً إلى تلك المرحلة التي كان فيها أكراد تركيا يشهدون نهضة أقرابهم في العراق دون أن يملكو الأدوات التنظيمية للاقتداء بهم علناً. فالجيل الذي أسّس الحركات الكردية التركية في الستينات والسبعينات كان في شبابه خلال مرحلة الخمسينات، وكان يحمل في وعيه وذاكرته صور البارزاني العائد منتصراً وصور الكرد العراقيين وهم يحتفلون بثورتهم وحرّيتهم (Chaliand, 1980, p.1-25).

كذلك ينبغي الإشارة إلى الدور الذي أدّته بعض الشخصيات الكردية التركية التي عملت بوصفها وسطاء ثقافيين وسياسيين بين بيئتهم التركية وما يجري خارج الحدود. فقد حافظ بعض هؤلاء على قنوات اتصال سرية مع الحركات الكردية في العراق وإيران، وعملوا على ترجمة الأفكار ونقل التجارب عبر الحواجز الجغرافية والسياسية. وكان من بين هؤلاء الوسطاء شخصيات متعددة الأدوار: فبعضهم كان يعمل في التجارة العابرة للحدود وكان يؤدي في الوقت ذاته وظيفة ناقل المعلومات والأفكار، وبعضهم كان من العلماء والمشايخ الدينيين الذين تربطهم بنظرائهم في العراق وإيران شبكات صلات دينية وعلمية، وبعضهم كان من المثقفين الذين استطاعوا بحكم وضعهم المهني الانتقال بين بلدان المنطقة والحفاظ على علاقات بنظرائهم الكرد في الخارج (McDowall, 2004, p.420-450).

ومن المهم في هذا السياق الإشارة إلى ظاهرة الطلاب الكرد الأتراك الذين التحقوا بالجامعات في أنقرة وإسطنبول وغيرها من المدن التركية الكبرى، وكانوا يلتقون هناك بزملاء من خلفيات مختلفة ويتعرضون لأفكار سياسية متنوعة. وفي هذه الجامعات، كانت تجري اتصالات بين الطلاب الكرد من مختلف المناطق، مما أتاح قدرًا من التواصل والتنسيق بين أبناء الجيل الكردي الجديد الذي كان يبحث عن هويته ومستقبله

السياسي. وكانت الأحداث الكبرى مثل: ثورة 1958 العراقية وعودة البارزاني تُشكّل محور نقاشات حارة في هذه الأوساط الطلابية، بعيداً عن رقابة الدولة وإن ظلت المخاوف الأمنية حاضرة دائماً. وتكشف هذه الإرهاصات مجتمعةً أن المجتمع الكردي في تركيا لم يكن كتلة صماء جامدة في مواجهة القمع الدولي، بل كان يُطوّر باستمرار أشكالاً بديلة من المقاومة والتكيف تتجاوز إمكانات الرقابة الرسمية وتُبقي على جذوة الوعي الهوياتي متقدة. وهذه الأشكال البديلة من المقاومة الصامتة — سواء أكانت شعراً أم تداولاً للمطبوعات أم شبكات تواصل عشائري أم نقاشات طلابية سرية — هي التي أبقت الروح الكردية حية في تركيا طوال تلك العقود القاسية، وهيأت الأرضية لما ستشهده العقود اللاحقة من حراك سياسي متصاعد لا يزال يُلقي بظلاله على تركيا والمنطقة حتى يومنا هذا.

ثامناً: خلاصة تحليلية — بين الهوية الجامعة والواقع المُجرّأ

تكشف الدراسة التأملية في موقف أكراد تركيا من البارزاني وحركته في المدة 1956-1958 عن معادلة بالغة التركيب تجمع بين متناقضات ظاهرية: فالهوية الكردية المشتركة تخلق تعاطفاً وتضامناً وجدانياً عميقاً، في حين تفرض الواقعية السياسية ومتطلبات البقاء وتباين الظروف الموضوعية قدراً كبيراً من الانكفاء والتحفّظ. وهذه المعادلة ليست حكراً على الحالة الكردية التركية، بل هي نمط متكرر في تاريخ الجماعات المهجورة التي تتابع نضال أقاربها عبر الحدود بأعين شاخصة وأيدي مكبلّة، غير أن ما يميّز الحالة الكردية التركية هو عمق القمع الذي جعل حتى التعبير الوجداني عن التضامن أمراً محفوظاً بمخاطر جسيمة. وفي هذا السياق، يمكن القول إن العلاقة بين أكراد تركيا والحركة البارزانية خلال تلك المرحلة كانت علاقة "تضامن عاجز"، أي: تضامن حقيقي في الوجدان والأمنية، مُقيّد بعجز تنظيمي وسياسي ناجم عن القمع الممنهج. ولعل هذا ما يُفسّر كيف أن تلك المرحلة تركت أثراً عميقاً في الذاكرة الكردية التركية دون أن تُفرز موقفاً سياسياً منظماً يمكن رصده وتوثيقه بسهولة. فالمواقف لم تُكتب في وثائق، ولم تُصدر في بيانات، ولم تتجسد في تنظيمات، بل عاشت في النفوس وتناقلتها الأفواه وحفظتها الذاكرة الجمعية جيلاً بعد جيل. ومن الأهمية بمكان في هذا التحليل أن نُميّز بين مستويين متداخلين من العلاقة بين أكراد تركيا والبارزاني: المستوى الأول هو مستوى الرمز، فقد كان البارزاني يمثّل في الوجدان الكردي التركي ليس شخصه بالضرورة، بل الفكرة التي يجسدها، فكرة أن الكردي يستطيع أن يرفع رأسه ويقاوم ويمضي إلى الأمام على الرغم من كل شيء. أما المستوى الثاني فهو مستوى الحدث السياسي الملموس، فقد كانت التطورات في العراق تُعيد رسم خريطة التوقعات الكردية الإقليمية وتُلقي بظلالها على حسابات الكرد في تركيا ومآلات قضيتهم على المدى البعيد. وتشابك هذان المستويان في تشكيل موقف لم يكن ثابتاً جامداً، بل كان يتحرك ويتبدّل تبعاً لمجريات الأحداث ودرجة تصاعد الأمل أو الإحباط.

ولا شك أن من الإنصاف الإشارة إلى أن مصطلح "ثورة البارزاني" الذي يرد في بعض الأدبيات الكردية للإشارة إلى المدة 1956-1958 يحتاج إلى تدقيق تاريخي دقيق، إذ كان البارزاني في تلك المدة لا يزال في منفاه السوفيتي، ولم يكن يمارس قيادة ميدانية مباشرة للحركة الكردية في العراق. وكانت الثورة المسلحة الكردية الكبرى التي قادها ستنتقل رسمياً في سبتمبر 1961 بعد أن تدهورت علاقاته بحكومة عبد الكريم قاسم. غير أن المرحلة المذكورة شهدت تصاعداً ملحوظاً في النشاط التنظيمي والسياسي للحزب الديمقراطي الكردستاني واتساع نفوذه في المناطق الكردية العراقية، فضلاً عن التحولات الكبرى التي أحدثتها ثورة 1958 في المشهد الكردي العراقي والإقليمي، ومن ثم فإن الحديث عن "حركة البارزاني" في تلك المرحلة يصح بوصفه إشارة إلى التيار السياسي والنضالي الذي يحمل اسمه ويستمد شرعيته من تاريخه، لا بالضرورة إلى قيادته الشخصية المباشرة.

وإذا حاولنا تقييم الأثر الحقيقي لتلك المرحلة على الحركة الكردية في تركيا، فإننا نجد أنفسنا أمام مفارقة تاريخية لافتة: فالمرحلة التي شهدت أقل قدر من الفعل الكردي المنظم في تركيا كانت في الوقت ذاته من أكثر المراحل تأثيراً في تشكيل الوعي الكردي التركي على المدى البعيد. ذلك أن الصمت القسري الذي فرض على الكرد في تركيا لم يُفض إلى صهرهم في الهوية التركية كما كانت الدولة تأمل، بل على النقيض من ذلك، أفرز حالة من الاحتقان الهوياتي المتراكم التي كانت تتغذى على كل إنجاز كردي يتحقق خارج الحدود، وعلى كل رمز ينتصر في مكان ما من هذا الوطن الكردي الموزع.

وفي هذا الإطار، يمكن القول إن البارزاني أدى وظيفة رمزية مزدوجة في الوجدان الكردي التركي: فمن جهة كان يُمثل الاحتمال القائم والممكن، أي: إثبات أن الكردي يستطيع أن يُنظم ويقاوم ويفرض وجوده على الساحة السياسية. ومن جهة أخرى، كان يُجسد المرأة التي يرى فيها أكراد تركيا صورة ما يمكن أن يكونوا عليه لو توافرت لهم الظروف الملائمة، وهو ما كان يُعمق الشعور بالغبن والحرمان ويُذكي الرغبة في التغيير. أما على صعيد الدلالة التاريخية الأشمل، فإن مرحلة 1956-1958 تمثل في تاريخ الكرد في تركيا ما يمكن تسميته بـ "مرحلة النضج الصامت"، تلك المرحلة التي تتضح فيها الأفكار وتتعمق الهويات وتتراكم المظالم في غياب أي قناة للتعبير الشرعي عنها، حتى تأتي اللحظة التاريخية المواتية فتجد أمامها وعياً ناضجاً وإرادة متشكلة جاهزة للانطلاق. وكانت ثورة 1958 العراقية وعودة البارزاني المنتصرة بمثابة المحفز الذي أعاد إشعال هذا الوعي الكامن وأكسبه زخماً جديداً، وإن ظل مكبلاً في تركيا لسنوات طويلة قادمة قبل أن يجد تعبيره التنظيمي الكامل.

وخلاصة القول، إن الموقف الكردي التركي من البارزاني وحركته في تلك المرحلة لا يمكن قياسه بمقاييس الفعل السياسي التقليدية وحدها؛ لأن قياسه بهذه المقاييس يُفضي حتماً إلى استنتاج مضلل مفاده أن الكرد في تركيا كانوا غائبين أو لا مبالين. بل ينبغي قياسه بمقاييس الهوية والذاكرة والوعي الجمعي، وهي مقاييس

تكشف عن حضور كثيف ومؤثر، لم يظهر على السطح؛ لأن الدولة لم تسمح له بالظهور، لكنه كان يعمل في العمق ببطء ويقين، راسماً معالم الفصل القادم من تاريخ الكرد في تركيا.

الخاتمة:

تقف هذه الدراسة أمام مشهد بالغ التعقيد والدلالة في التاريخ الكردي الحديث؛ مشهد كرد تركيا المُقيدين بالقمع السياسي المنظم، يتابعون بعيون يمزج فيها الأمل بالحذر والإعجاب بالقلق تجربة أشقائهم الكرد في العراق وزعيمهم البارزاني. وقد كشفت هذه الدراسة أن الموقف الكردي التركي من البارزاني وحركته لم يكن كتلة صماء بل كان طيفاً متدرجاً يمتد من التعاطف الوجداني العميق في الأوساط الشعبية، إلى الحذر السياسي في الأوساط المثقفة، إلى الانكفاء المحسوب لدى الزعماء العشائريين المتوائمين مع الدولة. وأسهمت عدة عوامل في تشكيل هذا الموقف، أبرزها: القمع التاريخي الممنهج للهوية الكردية في تركيا، والظروف الجيوسياسية لعقد الخمسينات وتداعيات الحرب الباردة، والطابع السوفيتي لمنفى البارزاني الذي وقر ذريعة للدولة التركية في تصوير أي تضامن معه على أنه عمالة للشيوعية، فضلاً عن البنية الاجتماعية المتنوعة للمجتمع الكردي في تركيا ذاته.

وتأتي أهمية هذه المرحلة من كونها الإرهاص الذي مهّد لما جاء بعدها؛ فالوعي الكردي التركي الذي تشكل ونضج في ظل مشاهدة التجربة العراقية من بعيد سيجد في العقود التالية تعبيراً سياسياً وتنظيمياً متصاعداً، يكشف أن سنوات الصمت القسري لم تكن معناها الاستسلام والانكسار، بل كانت مرحلة تكثف فيها الوعي وتجذرت فيها الهوية في أعماق المجتمع الكردي، انتظاراً للحظة التاريخية التي ستتيح له التعبير عن نفسه في الفضاء العام.

قائمة المصادر والمراجع:

1. Ahmad, Feroz. (1993). The Making of Modern Turkey. Routledge, London.
2. Batatu, Hanna. (1978). The Old Social Classes and the Revolutionary Movements of Iraq. Princeton University Press, Princeton.
3. Bozarslan, Hamit. (2003). Kurdish Nationalism in Turkey: From Tacit Contract to Rebellion (1919-1925). In: Vali A, editor. Essays on the Origins of Kurdish Nationalism. Mazda Publishers, Costa Mesa (CA). pp. 163-190.
4. Bozarslan, Hamit. (2004). Violence in the Middle East: From Political Struggle to Self-Sacrifice. Markus Wiener Publishers, Princeton.
5. Chaliand, Gerard, editor. (1980). A People Without a Country: The Kurds and Kurdistan. Zed Books, London.
6. Entessar, Nader. (1992). Kurdish Ethnonationalism. Lynne Rienner, Boulder.
7. Marr, Phebe. (2004). The Modern History of Iraq. Westview Press, Boulder.
8. McDowall, David. (2004). A Modern History of the Kurds. 3rd ed. I.B. Tauris, London.
9. Moazami, Behrouz. (2013). State, Religion, and Revolution in Iran, 1796 to the Present. Palgrave Macmillan, New York.
10. Nezan, Kendal. (1980). Kurdistan in Turkey. In: Chaliand G, editor. A People Without a Country: The Kurds and Kurdistan. Zed Books, London. pp. 47-106.
11. Vali, Abbas, editor. (2003). Essays on the Origins of Kurdish Nationalism. Mazda Publishers, Costa Mesa (CA).
12. van Bruinessen, Martin. (1992). Agha, Shaikh and State: The Social and Political Structures of Kurdistan. Zed Books, London.
13. van Bruinessen, Martin. (2000). Kurdish Ethno-Nationalism versus Nation-Building States. Isis Press, Istanbul.